

عظمته سبحانه وعلو قدره عز وجل



«من أعظم أسمائه سبحانه: العظيم، ومن أعظم صفاته العظمة، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في أفعاله، وهذه أحاديث عن عظمته سبحانه كلها صحيحة. يقول عليه الصلاة والسلام: "إذ قضى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوانٍ - قال: عليّ وقال غيره، صفوان ينفذهم ذلك" - (إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (سبا/ 23).

وقال: "أرايتم ما أنفق الله عز وجل منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يرفع ويخفض".

وقال: "قدر الله عز وجل المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة".

وقال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له".

وجاء خبر من الأخبار إلى رسول الله (ص) فقال: "يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ رسول الله (ص): (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر/ 67).

وقال: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط، وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض".

وقال: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر

كل شيء".

وقال: "إنَّ" اِ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها".

وقال: "إنَّ" اِ تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زُوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض".

وقال: "قال اِ تعالى: كذِبنِي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إِيَّاي فقولُه: لن يعيدني كما بدأني، وليس أوَّلُ الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إِيَّاي فقولُه: اتخذ اِ ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كفواً أحداً".

عن ابن عباس - رضي اِ عنهما - قال: حدثني رجال من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول اِ (ص) رُمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول اِ (ص): "ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: اِ ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم. فقال رسول اِ (ص): فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخير بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون".

وقال: "إنَّ" اِ عزَّ وجلَّ تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة".

وقال: "يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيقول: أنا الملك أين الجبارون وأين المتكبرون".

وقال: "إنَّ" اِ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرْفَع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل".

وقال: "يطوي اِ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

وقال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا اِ لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا اِ، ولا يعلم ما في غدٍ إلا اِ، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحد إلا اِ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا اِ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا اِ".

عن مسروق عن عائشة (رض) قالت: "من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: (لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ) (الأنعام/ 103)، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (النمل/ 65)".

وقال: "يد اِ ملأى لا يغيضها نفقة، سحائب الليل والنهار. وقال: رأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده".

وقال: "وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع".

عن جرير - رضي اِ عنه - قال: كذا جلوساً عند النبي (ص) إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: "إنَّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا".

فسبحان من سجد لعظمته العظماء؛ ووجل من خشيته الأقوياء، وقامت بقدرته الأرض والسماء. لو أذن للجبال أن تنطق بالمكنون، وتبيح بالسر المدفون لصاحت: لا إله إلا اِ.

لو فهمنا نطق الكائنات، ولو سمعنا خطاب المخلوقات، ولو علمنا منطق الطير في السماء، ولغة السمكة في الماء، لعجبنا من لهج الجميع بلا إله إلا الله.

لو تحدثت الشجر، وتكلم الحجر، ولو صاحت الجداول، وأنشدت الخمائيل لما سمعنا فيها غير: الله الله.

زمجر الرعد ليقول هذه بشارة رحمته فكيف نذير عذابه، لمع البرق ليقول هذه بسمه فرجه بنزول الغيث على عباده.

شمخت الجبال كأصابع المسبحين، وصمتت كأنها الشيوخ الخاشعين ولسان الحال والمقال، ينادي: تبارك الله أحسن الخالقين.

إذا رأيت الروض البهيج، وشممت الأريج، ونظرت إلى الألوان الزاهية، والأشكال الباهية، ولمحت الحسن المتناهي، والجمال الفائق، والمنظر الخلاب، والسحر الجذاب، والتركيب البديع، الغمام ينقض، والحمام يلقط، والورق يسقط والشعاع يسري، والكون في مهرجان حافل يمدح الملك القدوس بقصائد العظيم ولسان الحال يهتف تبارك (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) (السجدة / 7).

المصدر: كتاب (العظيمة)